مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 05/ العـدد 02: (2018)، ص 23- 36

ثنائية المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم، من تفسير معاني القرآن للفراء
-عرضا ودراسة-

الأستاذ: جمال بوكو.
جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة- الجزائر.

ملخص البحث:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان وجعله هدى ونورا وشفاء للناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و لا نظير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كان خلقه القرآن، اللهم صل وسلم عليه ما تعاقب الليل والنهار، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا بحث في ثنائية المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم، تناولت في المقدمة تعريفا موجزا لثنائية المقدَّم والمؤخَّر، مبرزا فائدته وأقسامه في التفسير، لأنّ العناية بالمقدَّم والمؤخَّر يساعد في معرفة معاني آيات القرآن، ثم تطرقت إلى بعض المواضع التي ذكرها الإمام "الفرَّاء" في تفسيره من التقديم والتأخير في الآية الواحدة، ثم دراسة القول ومناقشته معتمدا على أهم كتب التفسير، مع ذكر أقوال المفسرين من المخالفين أو الموافقين لِموضِع التَّقديم والتَّأخير.

مفاتيح البحث: المُقدَّم والمُؤخَّر/ القرآن الكريم/ تفسير معاني القرآن للفرَّاء/ عرضا ودراسة.

Abstract

Praise be to Allah who brought down the Quran and made it a guidance, a light and a cure for mankind, and I bear witness that there is no god but Allah alone, with no partner and no counterpart. I bear witness that Muhammad is His servant and His Messenger, who was his character the the holy Qur'an, may Allah bless him and grant him peace.

This is a research about the advancing and the retardation in the Holy Qur'an. In the introduction, I explained the definition of the advancing and the retardation, and then I showed it's benefits and sections in the interpretation, Because the care of it helps to know the meanings of the verses of the Qur'an. Then I spoke about some of the

examples mentioned by Imam "Elfara-a" in his interpretation of the advancing and the retardation in a single verse, And then i study the statement and discuss it based on the most important books of interpretation, with the presentation of the statements of the interpreters of the Opponents or approvers of the place of advancing and retardation.

المقدمة:

يعتبر موضوع التقديم والتأخير نوعا من أنواع علوم القرآن، ومن أهم المواضع التي ينبغي العناية بها، بل من متطلبات معرفتها لدى المفسّر الذي يقبل على تفسير كتاب الله تعالى، والضابط في معرفة التقديم والتأخير هو ما يقتضيه السياق والمقام، فمرة يقدم المتأخر لإفادة الاختصاص كقوله تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[تبارك:1] فقدَّم ﴿بيده﴾ على الملك لتفرده واختصاصه سبحانه بالملك، ومرة يقدّم من القلة إلى الكثرة، ومرة من الكثرة إلى القلة، وفي بعض الأحيان يبدأ بالمفضول ثم ينتهي إلى الأفضل كقوله تعالى: ﴿ فمنهم شقي وسعيد﴾[هود:105] وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾[التغابن:2] أو العكس، ومرة بالأدنى ثم إلى الأعلى كقوله تعالى: ﴿ والتين وطور السنين وهذا البلد الأمين﴾ [التين:1-2-3] "فمكة" أفضل من "التين" و"طور السنين" ولكن هناك دواعي لهذا التقديم والتأخير، وهكذا نجد السياق هو الذي يحدد أسرار التقديم والتأخير، وبه تتم معرفة معاني القرآن الكريم.

لقد اعتنى المفسّرون بموضوع التقديم والتأخير في تفاسيرهم، غير أنه لم يجمع في مصنف واحد -حتى يجمع فيه ما تفرَّق-، إلاّ ما كان من الأبحاث العلمية الجادة منها الدراسات التي قام بها الدكتور علي بن جريد العنزي وهي كالتالي:

- المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم من خلال زاد المسير، -جمعا ودراسة-، مجلة تبيان، العدد: الثاني عشر، 1434هـ.
- المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم من خلال تفسير البغوي-جمعا ودراسة-، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد: التاسع عشر، 1436هـ.
- المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم من خلال تفسير:" تفسير البسيط للواحدي"، مجلة البحوث الإسلامية، العدد: مائة وإحدى عشر-111-، 1438هـ.

ثنائية المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم، من تفسير معاني القرآن للفراء -عرضا ودراسة-

أما بحثنا هذا فقد جمع ما ورد في المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم، من خلال نماذج مختارة من أحد التفاسير اللغوية، ألا وهو معاني القرآن، للفراء.

إن اختيار تفسير "معاني القرآن" للفرآء على غيره من التفاسير اللغوية، كون أنَّ المؤلّف تطرق إلى موضوع المقدَّم والمؤخَّر، فحري بالوقوف على آرائه التفسيرية، كما أنّ هذا الموضوع من مسائل التفسير والبلاغة فهو بحاجة إلى إبرازه ومعرفة أسراره وحكمه، فما سبب التقديم والتأخير في القرآن الكريم؟، وما هي الأسرار البلاغية والاعجازية في ذلك؟. وهل كان الإمام "الفرَّاء" ناقلا للأقوال، أم كان متبنيا لها وناقدا في نفس الوقت؟.

لذا احتوت خطة البحث على مقدمة وثلاثة مطالب ففي المقدمة تناولت فيها أهمية البحث وأهدافه واشكالية البحث، وخطته، أما المطلب الأول فقد ذكرت فيه ترجمة مختصرة عن الإمام "الفرَّاء" وكتابه معاني القرآن، مبرزا مكانته العلمية، وسبب تأليفه للكتاب، وفي المطلب الثاني بينت معنى المقدَّم والمؤخَّر وأقسامه من حيث المعنى الدلالي، وفائدته في معرفة معاني القرآن الكريم، وفي المطلب الثالث والأخير ذكرت نماذج مختارة من المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم من تفسير معاني القرآن للفراء، مع ذكر أقوال أهل التفسير ومناقشتها على وجه الاختصار.

المطلب الأول: ترجمة مختصرة عن الفراء وكتابه معاني القرآن:

أولاً: نسبه: هو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور[1]، لقِّب بـ"الفرَّاء" لأنه كان يفري الكلام أي يحسن تقطيعه و تفصيله قال أبو الفضل الفلكي: «لقب ب"الفرَّاء" لأنه كان يفري الكلام»[2].

ثانيًا: مولده ونشأته: ولد بالكوفة سنة 144هـ[3]، نشأ وتربى على شيوخ الكوفة، فمن شيوخه قيس بن الربيع، أبي بكر بن عياش، الكسائي، وسفيان بن عيينة[4]، بلغ في

---

[1] تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ج224/16، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

[2] أنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ج352/4، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان.

[3] الأعلام ، للزركلي، ج145/8، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.

العلم مكانة سامية قلما تجدها في غيره، يقول ثعلب: «لولا "الفرَّاء" لما كانت عربية، لأنه خلصها-حصنها- وضبطها، ولولا "الفرَّاء" لسقطت العربية»[5]، قال أبوبكر الأنباري: «كان يقال النحو "الفرَّاء"، و"الفرَّاء" أمير المؤمنين في النحو»[6]، فكان رحمه الله تعالى« يحب الكلام يميل إلى الاعتزال، وكان متدينا ورعا»[7].

ثالثًا: سبب تأليفه لكتاب معاني القرآن: سبب تأليف "الفرَّاء" كتابه معاني القرآن، بناء على طَلَبٍ طُلِبَ منه، وهذا ما ذكره ابن النديم فقال: « قال أبو العباس ثعلب: كان السبب في املاء كتاب "الفرَّاء" في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل، وكتب إلى "الفرَّاء"، إنَّ الأمير الحسن بن سهل ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلتَ، فقال "الفرَّاء" لأصحابه اجتمعوا حتى أملّ عليكم كتابا في القران، وجعلهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة فالتفت إليه "الفرَّاء" فقال له : اقرأ بفاتحة الكتاب، نفسرها ثم نوفّي- استوفاه- الكتاب كله، فقرأ الرجل ويفسر "الفرَّاء"، فقال أبو العباس لم يعمل أحد قبله مثله، ولا أحسب أن أحدا يزيد عليه»[8].

رابعًا: وفاته: توفي رحمه الله في طريقه إلى بغداد بعد عودته من مكة سنة 207هـ[9].

خامسًا: مؤلفاته: آلة الكتاب، الجمع والتثنية في القرآن، معاني القرآن[10] وغيرها من المؤلفات النافعة.

المطلب الثاني: تعريف المقدَّم والمؤخَّر، وأقسامه وفائدته:

الفرع الأول: تعريفه: « جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة»[11]. بمعنى: تقديم اللفظ الذي ما حقه التأخير، أو

---

[4] أنساب للسمعاني، ج352/4.

[5] تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ج224/16.

[6] المرجع نفسه، ج224/16.

[7] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج333/2، المكتبة العصرية، لبنان صيدا.

[8] الفهرست، ابن النديم، ص99، دار المعرفة، 1978م.

[9] أنساب للسمعاني، ج352/4.

[10] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، ج333/2.

التأخير ما حقه التقديم -وإن كانا جميعا مهمّين-، بقرينة تصرفة عن أصله الذي وضع إلى غيره من المعاني لإفادة الاختصاص أو الاهتمام أو مراعة للفاصلة القرآنية.

الفرع الثاني: أقسامه: ينقسم المقدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم « إلى قسمين: الأول قسم ما أشكل معناه بحسب الظاهر فلما عُرف أنه من باب التقديم والتأخير اتَّضح... »[12].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه:129] تركيب الجملة "ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما" فقدمت ﴿لكان لزاما﴾ على ﴿ أجل مسمى﴾[13].

وأما القسم الثاني: ما ليس فيه إشكال[14] كتقديم الإنس على الجن، أو السماوات على الأرض، أو الليل على النهار أو العكس، فلا يقال إن هذا النوع حقه التقديم أو حقه التأخير، وهذا في الحقيقة يعتنى به في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

الفرع الثالث: فائدته: تكمن فائدة هذا الموضوع في معرفة سر الإعجاز القرآني وبلاغته، فهو جدير بالتصنيف كما قال السيوطي: « وهو جدير أن يفرد بالتصنيف»[15].

فمثلا قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾

[يونس:5] فقدِّم الشمس على القمر من باب الشرف، إذ نور القمر مستمد من ضياء الشمس[16].

المطلب الثالث: تطبيقات ونماذج المقدَّم والمؤخَّر في تفسير الفرآء:

1/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [ءآل عمران:55]

موضع الشاهد: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾

---

[11] الإكسير في علم التفسير، لسليمان بن عبد القوي الصرصري، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين،ص 189،مكتبة الآداب، القاهرة.

[12] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3/38-40، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.

[13] المرجع نفسه، ج3/38.

[14] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج3/40.

[15] المرجع نفسه، ج3/38.

[16] الموسوعة القرآنية، ج2/403، إبراهيم الابياري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: « والمعنى فِيهِ: إني رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك في الدنيا»[17]، وذكر وجها آخر لمعنى متوفيك أي قابضك إليَّ ولم يرجِّح فقال رحمه الله تعالى: «توفيت مالي من فلان: قبضته من فلان، فيكون التوفّي على أخذه ورفعه إليه من غير موت»[18].ذهب الزجاج[19] إلى أنّ في الآية تقديم وتأخير.

والسِرّ في التقديم والتأخير: «فبيانه من وجوه الأول: معنى قوله إني متوفيك أي متمم عمرك، فحينئذ أتوفاك، فلا أتركهم حتى يقتلوك، بل أنا رافعك إلى سمائي، ومقربك بملائكتي، وأصونك عن أن يتمكنوا من قتلك وهذا تأويل حسن، والثاني: متوفيك أي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس، ومحمد بن إسحاق قالوا: والمقصود أن لا يصل أعداؤه من اليهود إلى قتله ثم إنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء»[20].

والراجح في الآية إن كان فيه تقديم وتأخير فإنه يحمل قوله تعالى: ﴿إني متوفيك﴾ أي قابضك إلي بروحك وجسمك ولا دلالة على الموت[21]، كما أن الرفع إلى الله تعالى قد يوهم انتفاء حلول الموت لعيسى عليه السلام، فأراد سبحانه أن يدفع الوهم قد يوهم انتفاء حلول الموت لعيسى عليه السلام، فأراد سبحانه أن يدفع الوهم فقدَّم لفظة : ﴿إني متوفيك﴾ على ﴿رافعك﴾[22] دفعاً لذلك الوهم.

2/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ [ءال عمران:152].

موضع الشاهد: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ﴾

---

[17] معاني القرآن، للفرآء، تحقيق، عبد الفتاح شلبي وآخرون، ج219/1، دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى.

[18] المرجع نفسه، ج219/1.

[19] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج420/1، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

[20] تفسير الرازي -مفاتيح الغيب-، لفخر الدين الرازي، ج237/8 دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

[21] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي،ج133/7. دار الفكر،بيروت،1995م.

[22] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني،ج104/2، الطبعة الأولى، 1992 م.

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «إنه مقدَّم ومؤخَّر معناه: حَتَّى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم فهذه الواو معناها السقوط »[23]. أي سبب فشلكم يعود إلى النزاع الذي حصل فيما بينكم. فيرى "الفرَّاء" أن "الواو" في ﴿وتنازعتم﴾ زائدة فلا تدل على الترتيب.

ومال الإمام البغوي إلى أنَّ في الآية تقديم وتأخير فقال رحمه: « فيه تقديم وتأخير، تقديره: «حتى إذا تنازعتم في الأمر وعصيتم فشلتم ومعنى التنازع الاختلاف»[24].

3/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:187].

موضع الشاهد: ﴿ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: « كأنّك حفيّ عنها مقدّم ومؤخَّر ومعناهُ يسألونَكَ عنها كأنك حفِيّ بِهَا، ويُقال فِي التفسير كأنك حَفِيّ أي: كأنك عالم بها»[25].

ذكر ابن الجوزي أن في الآية تقديم وتأخير وعزاه إلى ابن الأنباري فقال: «قال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها»[26].

أما تقدير التقديم والتأخير حذفُ الجار والمجرور-"بها"- لطول الكلام لأنه لا يحصل الالتباس في حذف المعلوم من السياق[27].

4/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ [التوبة:55].

موضع الشاهد: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾.

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا هَذَا معناه، ولكنه أخِّر ومعناه التقديم- والله أعلم- لأنه إنّما أراد: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فِي الحياة الدُّنْيَا إنّما يريد الله ليعذبهم بِهَا فِي الآخرة»[28].

---

[23] معاني القرآن، للفراء، ج238/1.

[24] تفسير البغوي-معالم التنزيل في تفسير القرآن-، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش،ج119/2 دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1997م.

[25] معاني القرآن، للفراء، ج399/1.

[26] زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،ج175/2. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ

[27] مفاتيح الغيب، للرازي، ج424/15.

[28] معاني القرآن، للفراء، ج442/1.

ذهب الزجاج[29] إلى ما رجَّحه "الفرَّاء"، ونسبه النحاس[30] إلى أكثر أهل العربية، وسبب تقديم المال و الأولاد لأنهما« لا يكونان عذابا، بل هما من جملة النعم التي مَنَّ الله بها على عباده، فعند هذا التزم هؤلاء التقديم والتأخير»[31].

5/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الرعد:11].

موضع الشاهد: ﴿ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «والمعقِّبَات من أمر الله عَزَّ وَجَلَّ يَحفظونه، وليس يُحفظ من أمره إنَّما هُوَ تقديم وتأخير -والله أعلم-، ويكون ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ ذَلِكَ الحفظ من أمر الله وبأمره وبإذنه عَزَّ وَجَلَّ»[32].

عقّب عليه "السمين الحلبي" بأنّ الآية جاءت على نسقها فليس فيها تقديم وتأخير فقال رحمه تعالى: «وليس في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ كما زعم "الفراءُ" وغيره، وأن الأصلَ: له مُعَقِّبات مِنْ أَمْرِ الله يحفظونه مِنْ بينِ يديه»[33].

6/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم:1].

موضع الشاهد: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾.

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «والمعنى ذكر ربك عبده برحمته فهو تقديم وتأخير»[34]. فقدَّم الرحمة على لفظة "عبده زكريا" لأن الآيات التي أتت بعده تدل على التذلل والافتقار من عبده زكريا لربه عزّوجل، نحو قوله تعالى: ﴿نداء خفيا﴾ ﴿وهن العظم مني﴾ ﴿اشتعل الرأس شيبا﴾، فمن أدركته رحمت الله قبل دعاؤه وفرّج عن همّه وكربه – والله أعلم-.

7/التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:71].

---

[29] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج454/2.

[30] معاني القرآن، للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، ج218/3، الطبعة الأولى، 1409هـ

[31] مفاتيح الغيب، للرازي، ج72/16.

[32] معاني القرآن، للفراء، ج60/2.

[33] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ج30/7، دار القلم، دمشق.

[34] معاني القرآن، للفراء، ج161/2.

موضع الشاهد: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «وقد يقول بعض المفسرين: هذا مقدّم ومؤخّر. والمعنى فِيهِ: فبشَّرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة وهو مِمّا قد يَحتمله الكلام والله أعلم بصوابه»[35]. يفهم من كلام "الفرَّاء" أن الآية فيها تقديم وتأخير، لأن الأصل بُشِّرت بإسحاق فضحكت[36].

8/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ [الكهف:1-2].

موضع الشاهد: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «المعنى: الحمد لله الَّذِي أنزل عَلَى عبده الكتاب قَيّما، ولم يجعل لَهُ عوجًا»[37].

﴿قيما﴾ مقدم في النيَّة على أنه حال منصوب لصحابها -"الكتاب"- غير أنه مؤخر في اللفظ[38].

عقب الإمام الرازي على من قال بالتقديم والتأخير في الآية فقال: « ﴿ولم يجعل له عوجا يدل على كونه﴾ كاملا في ذاته، وقوله: ﴿قيما﴾ يدل على كونه مُكمَّلا لغيره وكونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكمَّلا لغيره فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله: ﴿ولم يجعل له عوجا قيما﴾ فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه»[39].

9/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾[طه:129].

موضع الشاهد: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾

---

[35] المصدر نفسه، ج22/2.

[36] البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج280/3، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1957م.

[37] معاني القرآن، للفراء، ج133/2.

[38] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج495/3، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج433/7.

[39] مفاتيح الغيب، للرازي، ج423/21.

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: « يريد: ولولا كلمة وأجل مُسمى لكان لِزامًا مقدم ومؤخر»[40].

ذهب إلى هذا الرازي فقال: «﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾ وفيه تقديم وتأخير، والتقدير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما»[41]، فعطف ﴿أجل مسمى﴾ على ﴿كلمة﴾ والتقدير: لولا كلمة سبقت وأجل مسمّى لكان إهلاكُهم لزاما[42].

10/التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور:27].

موضع الشاهد: ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: « هَذَا مُقَدَّمٌ وَمُؤَخَّرٌ إِنَّمَا هُوَ حَتَّى تُسَلِّمُوا وَتَسْتَأْذِنُوا»[43].

والاستئناس في هذه الآية الاستئذان بعد التحية والسلام قال الزمخشري: «تستأنسوا فيه وجهان: أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش، لأنّ الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، ... والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف ... والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال»[44].

11/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ[45]﴾ [ص:57]

موضع الشاهد: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «رفعت "الحميم" و"الغسّاق" بهذا مقدّمًا ومؤخرًا، والمعنى هَذَا حميم وغسَّاق فليذوقوه»[46]. وعليه فتأويل الآية: «هذا حميم وغساق، فليذوقوه» على

---

[40] معاني القرآن، للفراء، ج195/2.

[41] مفاتيح الغيب، للرازي، ج112/22.

[42] التحرير والتنوير-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب العزيز- محمد الطاهر بن عاشور، ج337/16، دار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.

[43] معاني القرآن، للفراء، ج249/2.

[44] تفسير الزمخشري -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل-، أبو القاسم الزمخشري، ج225/3-226 ،دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ

[45] الغساق : ما يقطر من فيح وجلود أهل النار. ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، ص381، دار الكتب العلمية، 1978م.

[46] معاني القرآن، للفراء، ج410/2.

اعتبار "هذا" مبتدأ وخبره "حميم" و"غساق"[47]، وليست الجملة الطلبية " فَلْيَذُوقُوهُ"، لأن السياق القرآني قدّم الجملة الطلبية بالجملة" فَلْيَذُوقُوهُ" وأخِّر لفظي "حميم" و"غساق" تهديدا لهم وتشفيا منهم[48].

12/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [الطلاق:8].

موضع الشاهد: ﴿ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: « فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً في الآخرة، وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً فِي الدنيا، وهو مقدّم ومؤخر»[49]. بمعنى عذبها الله في الدنيا بأنواع من البلايا كالجوع و القحط والخسف والمسخ وسائر المصائب وحاسبها في الاخرة حسابا عسيرا شديدا[50]، وقيل الآية جاءت على نسقها ونظمها ليس فيها تقديم وتأخير فيكون المعنى: «حاسبناها بعملها في الدنيا، فجازيناها حاسبناها بعملها في الدنيا، فجازيناها بالعذاب على مقدار عملها فذلك قوله عزوجل: ﴿ وعَذَّبْنَاهَا﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة»[51].

13/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:2].

موضع الشاهد: ﴿ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

قال "الفرَّاء"-رحمه الله-: «والمعنى -والله أعلم-: جعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، فهذه مقدَّمة معناها التأخير، إنَّما المعنى: خلقناه وجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه»[52]. وذهب إلى هذا المعنى الإمام الزجاج فقال: « ومعنى "نبتليه" نختبره يدل عليه "ومعنى نبتليه نختبره

---

[47] التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي،ج1104/2، الناشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي.

[48] من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد الله البيلي، ص81، ص82، نهضة مصر، القاهرة، 2005م.

[49] معاني القرآن، للفراء، ج164/3.

[50] تفسير البغوي، ج157/8. تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن-، محمد بن أحمد القرطبي،تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ج173/18، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.

[51] زاد المسير في علم التفسير،لابن الجوزي، ج302/4.

[52] معاني القرآن، للفراء، ج214/3.

يدل عليه: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي: جعلناه كذلك لنختبره»[53]. والِسرُّ في ذلك يكمن أنَّ الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخِلقَة[54].

14/ التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[الشمس: 12-13-14].

موضع الشاهد: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾.

أجاز "الفرَّاء"-رحمه الله- وقوع التقديم والتأخير: «ويكون مقدمًا وَمؤخرًا لأنَّ العقر وقع بالتكذيب، وإذا وقع الفعلان معا جاز تقديم أيُّهما شئت من ذَلِكَ: أعطيتَ فأحْسنت، وإن قلت: أحسنت فأعطيت»[55]، لأنّ العقر هو سبب التكذيب فإذا كان كذلك جاز تقديم أيّ ذلك شاء المتكلم[56].

الخاتمة:

من خلال إعداد هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج منها:

1-عناية الإمام "الفرَّاء"-رحمه الله- بموضوع التقديم والتأخير، لأنه يساعد كثيرا في معاني القرآن الكريم.

2-الأصل في الكلام على حقيقته ونسقه ونظمه، والقول بالتقديم والتأخير على خلاف الأصل، والضابط في ذلك يحدده السياق والمقام.

3-المقدَّم والمؤخَّر له أسباب في القرآن كإفادة القصر والاختصاص والتشويق والعناية بالمقدَّم.

4-من أسباب اختلاف المفسرين، اختلافهم في حمل الآية على التقديم والتأخير.

---

[53] معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ج257/5.

[54] تفسير القرطبي،ج122/19.

[55] معاني القرآن، للفراء، ج269/3.

[56] جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج460/24، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2000م.

-المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
2) الإكسير في علم التفسير، لسليمان بن عبد القوي الصرصري، تحقيق: الدكتور عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.
3) الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.
4) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.
5) أنساب للسمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان.
6) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
7) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان صيدا.
8) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج280/3، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1957م.
9) التبيان في إعراب القران، للعكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: مكتبة عيسى البابي الحلبي.
10) التحرير والتنوير-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب العزيز- محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.
11) تفسير الرازي -مفاتيح الغيب-، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.
12) تفسير البغوي-معالم التنزيل في تفسير القرآن-، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1997م.

13) تفسير القرطبي -الجامع لأحكام القرآن-، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1964م.
14) تفسير الزمخشري -الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل-، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
15) جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطيعة الأولى، 2000م.
16) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الطبعة الأولى، 1992 م.
17) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
18) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين بن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
19) غريب القرآن، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1978م.
20) الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، 1978م.
21) الموسوعة القرآنية، إبراهيم الابياري، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.
22) معاني القرآن، للفرآء، تحقيق، عبد الفتاح شلبي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى.
23) معاني القرآن وإعرابه، لأبي اسحاق الزجاج، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
24) معاني القرآن، للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1409هـ.
25) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد